الحكاية الشعبية في مديرية العرش- دراسة موضوعية

آسيا محمد محمد المجربي

قسم اللغة العربية - كلية التربية والعلوم- رداع - جامعة البيضاء

DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v3i2.189

ملخص

مثلت الحكاية الشعبية جزءًا مهمًا من حياة الشعوب؛ فنقلت لنا الواقع الفكري الذي وصلت إليه، ويأتي هذا البحث ليوثق ويؤصل للحكاية الشعبية في مديرية العرش وما حولها بمحافظة البيضاء، في محاولة لجمعها وتوثيقها ومعرفة الموضوعات التي تناولتها، وذلك من خلال جمع أكبر قدر ممكن من الحكايات المتداولة لدى أصحاب المنطقة، والكشف عن موضوعاتها، وسيتبع البحث المنهج الوصفي، لتتبع هذه الحكايات، وقد تناول البحث الحكاية في أربعة مطالب تطرق فيها لتعريف الأدب الشعبي وتعريف الحكاية كما تطرق لنشأتها وأنواعها وأهم الموضوعات التي تناولتها.

الكلمات المفتاحية: الأدب الشعبي- الحكاية الشعبية- التراث - الفلكلور.

Folk Tale in Al-Arash Directorate in Albaydha Governorate: Objective Stud

Abstract

Folk tale represents an important part in people life. It conveys the mental reality that it has been reached. The main aim of this research is to document and define the taproots of the folk tales in Al-Arash directorate and its surroundings in Albaydha governorate. This attempt is to collect and document them to know the subjects that it discussed by collecting as much as of these current tales for the owners of this region. Furthermore, the study tends to reveal the subjects of the folk tales. The research is based on an analytical descriptive method. The research deals with folk tale in four sections, including definitions of folk literature and folk tale, folk tale growth, its types and the most important subjects that it discussed.

Key Words: Folk Literature, Folk Tale, Heritage, Folklore.

مقدمة

لما كانت الحكاية الشعبية من أهم عناصر المأثور الشعبي التي يستطيع الإنسان من خلالها نقل جُل تصوراته، وعاداته، وخلاصة تجاربه، وتقديمها بأسلوب حكائي مشوق زاخر بالعبر والقيم النبيلة؛ فإن الباحثة قد اتخذت من هذا الفن التراثي «الفلكلوري» موضوعًا لدراستها" الحكاية الشعبية في مديرية العرش" الحكاية التي تتجلى فيها براعة الشعب وحكمته، والتي تمثل تصويرًا للحياة الواقعية بأسلوب غير واقعي؛ حيث تعطي الأحداث صبغة خيالية حتى تصبح حدثًا غير واقعي.

- **مشكلة البحث: -**

جاءت هذه الدراسة لتجيب عن التساؤلات التالية:

- ما هي المواضيع التي تناولتها الحكاية الشعبية في مديرية العرش وما حولها من المناطق؟
- ما مدى تجسيد الحكاية الشعبية في مديرية العرش للموروث الثقافي التراثي في اليمن؟

- **أهداف البحث: -**

- رصد أهم الموضوعات التي تناولتها الحكايات الشعبية في المنطقة.
- نقل الصورة العامة للحكايات الشعبية.
- الكشف عن مدى تجسيد الحكاية الشعبية للموروث الثقافي التراثي في المنطقة.

- **أهمية البحث: -**

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها الدراسة الأولى - حسب علم الباحثة- التي تناولت موضوع الحكاية الشعبية في المنطقة، وعملت على بيان مدى تجسيد الموروث الثقافي التراثي في الحكاية الشعبية في مديرية العرش بمحافظة البيضاء، وتعرضت بالتحليل للموضوعات الشعبية في مديرية العرش.

- **منهج البحث: -**

وللإجابة عن تساؤلات البحث وتحقيق أهدافه؛ اتخذت الباحثة المنهج الوصفي مستأنسة بالمنهج التحليلي؛ كونهما الأنسب في تحقيق أهداف الدراسة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في أربعة مطالب، اشتمل المطلب الأول على تعريف الأدب الشعبي، أما المطلب الثاني فقد تناول تعريف الحكاية، في حين اشتمل المطلب الثالث على نشأة الحكاية وأنواعها، وأخيرًا المطلب الرابع تناولت فيه الباحثة موضوعات الحكاية، وصولًا للخاتمة وأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

- **حدود البحث: -**

الحدود المكانية: الجمهورية اليمنية، البيضاء «مديرية العرش أنموذجًا».

الحدود الزمانية: 2021 م

الحدود الموضوعية: الحكاية الشعبية في مديرية العرش بمحافظة البيضاء، اليمن.

الأدب الشعبي:

هو تعبير بالكلمة عن الإنسان وما طالته قدرته التصويرية الفنية، ويعد مرآة صادقة تعكس تاريخ مجتمع من المجتمعات في ماضيه وحاضره، نتعرف من خلاله على حضارة شعب من الشعوب وعاداته وتقاليده، وهو صورة ناطقة متحركة تعبر عن طموحات الشعب، وتطلعاته، وثقافته، وآماله، وآلامه، ولا يفارق الأدب الشعبي الأدب الرسمي في فنونه؛ بل أنه يتسع أكثر باعتبار تلقائية لغته، واتساع مساحات إبداعه وتلقيه (ابن يوسف رانيا، حنان_ 2016_2017_182)، وقد عرفه الدكتور حسين نصار بقوله: "هو الأدب الذي يصدره الشعب فيعبر عن وجدانه، ويمثل تفكيره، ويعكس اتجاهه ومستوياته الحضارية"(د. حسين نصار_1400ه_1980م_11).

وثقافتنا تقوم على تراث شعبي ضخم يمثل فيه الأدب الشعبي الحيز الأكبر؛ لتنوع موضوعاته، وتعدد أجناسه من: المثل، والأغنية، إلى الحكاية بأنواعها، والشعر الشعبي، واللغز، والسيرة، والزوامل وغيرها، ومنطقة رداع - كونها جزءًا لا يتجزأ من الجمهورية اليمنية - عرفت أدبًا شعبيًا مميزًا، مثل الشكل القصصي باعتباره تجسيدًا لوقائع وأحداث واقعية تاريخية مهمة، وتصويرًا لمظاهر اجتماعية، وعادات، وتقاليد، وسلوكيات، متأصلة في المنطقة.

وعلى الرغم من هذا التنوع إلا أنه بقي رهين الماضي، ولم يلقَ ذلك الاهتمام والتجديد، وبالأصح قَلّ وجوده، إن لم يكن قد انعدم، لاسيما بعض أنواعه كالحكاية الشعبية، ويعود السبب في ذلك إلى اهتمام الباحثين في المجتمع بالبحث والدراسة في مجالات الأدب الرسمي، ويُلاحظ أن الحكاية الشعبية أصبحت قليلة الحضور في الأحاديث والدراسات؛ وذلك لعناية الناس بالأجهزة العصرية أثناء تجمعاتهم، ومسامراتهم، وهذا ما دفع الباحثة لدراسة الحكاية الشعبية؛ توثيقًا لها وحفاظًا عليها، ومحاولة في الكشف عن أهم موضوعاتها.

ولكي نتعرف على المظاهر الفنية في الحكايات الشعبية لمنطقة العرش وما حولها، وأهم الدلالات الثقافية التي تعكسها على المجتمع؛ نتطرق أولًا لتعريف الحكاية لغةً واصطلاحًا.

الحكاية لغة: -

يُقال: حكيت الشيء أحكيه، وذلك أن تفعل مثل ما فعل الأول، يقال في المهموز: أحكت العقدة إذا أحكمتها (ابن فارس - 1300هـ - 1979 - 92)، وحكيت عنه الكلام حكاية، وحكيت فعله وحاكيتُهُ إذا فعلت مثل فعلِهِ وهيئتِهِ (الجوهري - 1990 - 17 – 13)، وجاء في لسان العرب حكيت فلانًا وحاكيته: فعلت مثل فعله، أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه، وفي الحديث: ما سرني أني حكيت إنسانًا، وأن لي كذا وكذا، أي: فعلت مثل فعله، وأكثر ما يُستعمل في القبيح المحاكاة، والمحاكاة: المشابهة (ابن منظور - 1990- 271).

اصطلاحًا:

"هي إبداع أدبي ينتقل من جيل إلى آخر شفهيًا، ولدت من رحم أحاسيس الناس ومشاعرهم؛ كونها تنشئ نفسها بشكل مباشر، تتغذى من التجارب الفردية، أو الجماعية، وغايتها أخلاقية، قائمة على مفارقات الحياة اليومية الواقعية" (أمينة حلفاوي - سعاد شلالي - 2016 - 2017 - 21).

إذًا فالحكاية: شكل من أشكال التعبير الشعبي، ونوع من التعبير الشفاهي الذي يتداوله الشعب بلغته المعتادة، دونما تكلف، ويرى الباحث (سعيدي محمد) أنها: "محاولة استرجاع أحداث بطريقة خاصة ممزوجة بعناصر ك: الخيال والخوارق والعجائب ، ذات طابع جمالي تأثيري نفسيًا واجتماعيًا وثقافيًا"(محمد سعيدي - 1998 - 55)، وعرفها في موضع آخر بأنها: "وصف لواقعة خيالية، أو شبه واقعية، أو حقيقية أبدعها الشعب في ظروف حياته، سجلها في ذاكرته ورواها أفراده لبعضهم البعض بمرور الأيام وتوارثوها فيما بينهم عن طريق المشافهة، من أجل المتعة والتسلية" (محمد سعيدي - 1998-58).

من خلال التعريفات السابقة ترى الباحثة أن الحكاية الشعبية غالبًا ما تستمد وجودها من الواقع

الاجتماعي والنفسي، فهي تحكي أحداثًا واقعية، أو خيالية، بهدف نشر الوعي حول قضية، أو عادة معينة، بهدف المتعة، والتسلية، والترفيه، والترويح عن النفس، وكذلك أخذ العبرة حول حدث ما.

وترى الدكتورة نبيلة إبراهيم: أنه يمكن العودة إلى المعاجم الأجنبية لتيسير تعريف الحكاية الشعبية، فالمعاجم الألمانية تُعرِّف الحكاية الشعبية: بأنها الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل إلى آخر، وهي: خلق حر للخيال الشعبي، ينسجه حول حوادث مهمة، وشخوص، ومواقع تاريخية. أما المعاجم الإنجليزية فتعرفها: بأنها حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة، وهي تتطور مع العصور وتتداول شفاهًا، كما أنها قد تختصر بالحوادث التاريخية الصرفة أو الأبطال الذين يصنعون التاريخ(د. نبيلة إبراهيم - 91)، وهذا يعني أن الحكاية الشعبية لا يكون موضوعها مرتبطًا بالخيال والخوارق فحسب؛ إنما يكون موضوعها حدثًا تاريخيًا وقع في وقتٍ ما، وهذا ما يبرز أهميتها عن بقية أشكال السرد الشفاهي، فيمكن أن تكون سجلًا تاريخيًا، يدون فيه الخيال الشعبي كل ما يدور حوله من أحداث لمجتمع ما، وهي موروث شعبي يمكن أن يحتفظ بعادات الشعوب وثقافاتهم، ويتم تناقلها من جيل إلى جيل؛ لمعالجة قضايا، وأحداث متكررة، وبناء شخصيات إيجابية مستقيمة.

نشأة الحكاية الشعبية: -

تعد الحكاية الشعبية من أبرز فنون الأدب الشعبي؛ بل إنها فن قديم يرتكز على السرد، أي: سرد خبر متصل بحدث قديم، انتقل عن طريق الرواية المتداولة شفويًا عبر الأجيال؛ مما يجعلها تخضع للتطور عبر العصور؛ نتيجة للخلق الحر للخيال الشعبي، الذي ينسجها حول حدث أو حوادث مهمة بالنسبة للشعب(برباش مريم - 2011-2012-14)، إذ إنها في كل عصر تخضع للتغيرات الطارئة والأحداث السائدة في المجتمع في تلك الفترة الزمنية، غير أن حدثها الأساسي أو بطلها الموجود يبقى محافظًا على خصائصه، إلا ما أضيف له من سمات خيالية، أو حقيقية بفعل التناقل الشفوي.

إلا أن تحديد نشأة الحكاية الشعبية كان موضع جدل بين الباحثين والدارسين في هذا المجال، فقد عد الباحثون أعمال الأخوين الألمانيين(جاكوب جريم، ووليهم جريم) الأساس لدراسة الخرافات والقصص الشعبية، وقد جعل هذان الباحثان من الحكاية زادًا، لا للشعب الألماني فحسب، بل للعالم كله إذ اتجه كل واحد منهما إلى جمع الحكايات الشعبية الألمانية، بشكل منتظم من الرواة في بداية القرن التاسع عشر(نهاري حنان الغازي هاجر - 2014-2015-9)، في حين يرى بعض الدارسين أن الحكاية نشأت أصلًا في الهند، أما غراء حسين فترى أن مصدر الحكاية الشعبية عادة ما يكون حكايات أخرى، كانت تروى من مئات السنين أو آلاف السنين، ومن الممكن أن تكون بقايا أسطورية، أو أفكارًا أو معتقدات قديمة، ومن الصعب معرفة أين ومتى نشأت، أوهي ثمار لتأملات وتجارب الشعوب(نهاري حنان والغازي هاجر-2014-2015-10)، (د. غراء حسن مهني 1997 .1 .6).

إذًا فقد ارتبطت الحكاية بنشأة الإنسان، فقد بدأ بالتفكير حول ما يحيط به، وحاول التعبير عن علاقته بما حوله، ثم حاول التعبير عن معتقداته، وكل ما من شأنه أن ينمي عقله في مراحل حياته الأولى؛ فلجأ إلى تلك الطريقة الشفاهية في نقل كل ما يريد التعبير عنه؛ فكانت الحكايات الشعبية، فمن الحكايات المعروفة القديمة كانت حكايات الجن (FAIRYTALES)، وحكايات الحيوان (ANTMLTALES)، التي عرفتها لنا آداب الهندوكيين والعبريين في التوراة والغرب واليونانيين، وكان هناك حكايات السحرة (FABLES)، ويعود منشؤها إلى المصريين قبل ألفي عام قبل ميلاد المسيح(باصديق -1414هـ-1993م-328).

والحكاية بمعناها الإخباري كان العرب يرددونها منذ عهد بعيد في الأسمار، وهم يتحدثون ويخبرون عن بطولات الأسبقين وملاحمهم وسيرهم، ولم يكن ذلك التعبير خوفًا من البطولات بقدر ما كان تعبيرًا عن إعجابهم بها، وكان هناك الإخباريون وهم كثر، حتى صاروا جماعة كبيرة لها فروع، ونُظم، ومصنفات عديدة، وعُرف السمار الذين كانوا يتجمعون حولهم في العصر الجاهلي، ويتباهون بأخبار البطولات(باصديق - 1414هـ - 1993-329).

كانت تلك مكانة الحكاية وتواجدها في العصر الجاهلي، وما قبله بمئات السنين، ولم تتوقف الحكاية الشعبية عند هذه الفترة الزمنية فقد ظلت متواجدة حتى بعد ظهور الإسلام، ومن ذلك أن سيدنا محمد قد استعان بالقاص تميم الداري، وكان أول قاص في مسجد النبي بمكة يروي تلك الحكايات والبطولات للناس، وكان النبي نفسه يحب تلك الحكايات والاستماع إليها، وقد رأى عليه الصلاة والسلام أن الحكايات تلك والقصص كانت تُحدث تأثيرًا على المستمع(باصديق -1414هـ -1993-329)، وقد بقيت تلعب دورًا مهمًا جدًا في نقل عادات وبطولات العرب سواء في العصور السابقة، أو في المراحل المتقدمة للإسلام، وقد طُبعت هذه الحكايات بطابع الدين الجديد.

فالدكتورة نبيلة إبراهيم ترى أن الحكاية الشعبية تطورت مع أفكار الدين الذي يعتنقه الشعب كل الاعتناق، وهناك تجد نموذجين للحكاية الشعبية، أولهما ذلك الذي يركز اهتمامه حول قصة بطل واحد ينتسب إلى قبيلة كبيرة، تكون في حد ذاتها الجزء الأكبر من شعب بعينه، تهتم ببطولة هذا البطل الذي يقود الشعب من الفوضى إلى النظام في ظل تعاليم الدين الجديد تمامًا كما يفعل النبي المرسل، مثال ذلك: حكاية الإسكندر الأكبر العربي، أما النوع الآخر فهو الذي ما زال يحتفظ بتمجيد الأسرة أو القبيلة وأعمال أبطالها(نبيلة إبراهيم 93).

لقد ارتبطت نشأة الحكاية الشعبية بنشأة الإنسان ووجوده، فمنذ وِجِدَ الإنسان وجدت معه الحكاية، وإن الباحث في نشأة القصة العربية في اليمن يجد صعوبات في تحديد زمن دخولها لهذه المنطقة؛ وذلك لعدم توفر الكم الكافي من الوثائق؛ ويرجع السبب في ذلك إلى طبيعة الحكاية الشعبية نفسها، وارتكازها على خاصية الشفاهية في نقلها، كذلك في كونها لا تقتصر على المكان والأشخاص، وإنما هي وسيلة للتعبير عن آراء الإنسان في الحياة، وملك مشاع لعامة الناس يتداولونها بلغتهم العامية الواحدة، إلا أن بعض الدارسين يرى أنه كان لليمن حظ كبير في هذا النتاج الفكري قبل الإسلام بآلاف السنين، فحسين سالم باصدّيق يقول: (لقد كان لليمن حظ كبير في هذا النتاج الفكري للإنسان وخاصة الحكاية الشعبية، وأكثرها شملت عجائب وغرائب البحار ورددتها الأجيال ولا زالت ترددها حتى اليوم، وبعضها دون في كتب حفظت لنا، منها كتاب "التيجان في ملوك حمير" لوهب بن منبه الصنعاني، وكان من كبار التابعين) (باصديق - 1414هـ - 1993-330)، ويذكر في موضع آخر اهتمام اليمنيين بالحكاية الشعبية، فيقول: (كان للإنسان اليمني - منذ القدم- نصيب وافر من هذه الحكايات الشعبية، رواها لنا البحارة اليمنيون، الذين كانوا يمخرون عباب البحر، ينقلون البضائع، يجابهون المتاعب والموت، كما رواها لنا التجار، وهم ينقلون البضائع برًا عبر قوافل الجمال، ويقطعون بها الصحاري الشاسعة والفيافي، ويجابهون الجن والوحوش منذ الممالك العريقة في الجنوب العربي، وما قبل الإسلام بآلاف السنين) (باصديق -1414هـ-1993-331).

فقد عرفت المجتمعات الإنسانية الحكاية عبر العصور فقد نشأت بنشأة الإنسان، وتطورت بتطور الجماعات المتداولة لها، فهي تمثل وسيلة ومرآة تعكس طابع المجتمع الفكري والنفسي والاجتماعي، والتعبير عن الواقع المعاش فلم تقف عند هذا الحد في العصر الإسلامي، فقد نالت حظها من العناية والاهتمام من قبل ذلك الجيل والأجيال اللاحقة من التابعين، وصولًا إلى وقتنا الحالي.

تستنتج الباحثة مما سبق: أنه من الصعب تحديد نشأة الحكاية الشعبية؛ فهي مرتبطة بنشأة الإنسان ووجوده منذ البداية، فقد وضعت حياته وما أحاط به من جوانب معروفة، أو مجهولة، وبفعل التطور فهي تساير الركب، وتواكب الطابع السائد في ذلك العصر، وتنقل كل ما يتعلق بذلك المجتمع من قضايا دينية، ونفسية، واجتماعية، وثقافية، وسياسية، إلى الأجيال الأخرى بطريقة شفاهية، وهذه الخاصية ساعدت في انتشار هذه الحكايات وتداخلها بين الشعوب، مما زاد في صعوبة تحديد منشئها أو بدايتها.

و بعد أن تعرضت الباحثة لنشأة الحكاية الشعبية، لا بد من معرفة آراء الباحثين والدارسين عن أنواعها، وقبل ذلك لا بد أن ننوه أن الحكاية قد اختلفت تسميتها من بلد لآخر، فهي "المحزاية أو الحزاية" في اليمن، وهي "الحدوتة" في مصر والشام، وهي "السوالف" في الكويت والبحرين، وهي "الخرَّيفة" في العراق، والأخيرة مشتقة من الخرافة. (باصديق - 1414هـ-1993-332).

أنواع الحكاية الشعبية: -

لقد وجد الباحثون صعوبة كبيرة في تحديد، وتصنيف أنواع الحكاية الشعبية، وهناك اختلافات كثيرة تواجههم، وهذا هو السبب الذي جعلهم يذكرون أنماطًا مختلفة في كيفية التصنيف، والمعايير التي يتم التصنيف على حسبها، فقد طرح بعض الدارسين نوعين حسب جدية الحكاية، ومدى فائدتها، فهناك نوع يكثر فيه الخيال وتتكلم فيه الحيوانات من أفاع وحيات وثعالب وغيرها وتكثر فيه الغول وأفعالها العجيبة، وهذا ما تقصه النساء على الأطفال، والنوع الآخر عبارة عن حكايات هادفة تستخلص منها العبر، وإن كان فيها بعض اللهو مما يفضله الرجال في مجالس سمرهم، يقصد منها إظهار حجة دامغة بقصد إثبات قضية على شخص في حال اللجوء إلى حل المشاكل العشائرية(النبلاوي عايدة- 2014-355).

ومن الدارسين من يتخذ حجم الحكاية أساس التصنيف، فتكون حكايات طويلة، وحكايات قصيرة، ومنهم من يصنفها حسب الوظيفة التي تؤديها، أو الشخوص التي تتكون منها الحكاية، أو الأحداث التي تستقي منها الحكاية، لكن سيبقى هذا التصنيف فيه إشكالية لدى بعض الدارسين، فعبد الحميد يونس يرى أنه من الصعب تصنيف الحكاية الشعبية من حيث الوظيفة، أو المضمون، أو الشكل، فإنه لا يستطيع وضع خطوط فاصلة بين تلك الأنواع، إذ يتداخل بعضها مع بعض، ولأنها تحقق وظائف

متعددة في وقت واحد (عبدالحميد يونس -235)، ثم نجده يورد أنماط الحكاية كما يلي: حكاية الحيوان - حكاية الجان - السيرة الشعبية – حكايات الأمثال، وقد اعتمد في تصنيفه على الشخصيات التي تُسْتَقَى من الخرافات، مثل: (حكاية الحيوان، وحكايات الجان) كما اعتمد الجانب الاجتماعي الذي تهدف إليه(حكايات الاجتماعية) في الواقع وما يرتبط بالبيئة الاجتماعية، وإلى جانب ذلك اهتم بالجانب الترفيهي والفكاهة في (حكاية الشطار - المرحة - الألغاز) (عبدالحميد يونس -114).

ومن خلال دراسات الباحثين قديمًا وحديثًا يُسْتَنْتَج: أنه لا يوجد تصنيف واحد لأنماط الحكاية الشعبية يجري فيه جميع الدارسين دراساتهم، أو يخضعون له عند تطرقهم لأنماط الحكاية الشعبية، وهذا يعود إلى تداخلها أولاً مع بقية الأجناس الأدبية كالخرافة، والأسطورة، واللغز والسيرة الشعبية، ثم تداخل عناصرها ومكوناتها الأساسية من جهة ثانية، فقد توجد مجتمعة في حكاية البطولة مع حكاية الحيوان.

وسيقف البحث عند بعض الأنواع التي تتقاطع مع أشكال التعبير الأخرى، كالنكتة، والمثل، والشعر، وهذه الأنواع قد أوردها باصديق في حديثه عن الحكاية الشعبية في اليمن، بقوله: "وقد تفرعت الحكاية الشعبية إلى فروع، فنشأت منها الخرافة "FABLE"، وحكايات النوادر، ويكثر فيها المرح، والضحك، والتندر بالآخرين، وحكاية الألغاز، ومنها حكاية الأمثال أي: الحكاية التي تنتهي بمثل شعبي، أو التي ينتهي عليها مثل شعبي" (باصديق - 1414هـ-1993-335).

بعد العرض السابق لآراء الباحثين وتصنيفاتهم للحكاية الشعبية، ترى الباحثة أنه يمكن تصنيف الحكاية الشعبية على النحو الآتي:

1- الحكاية المَثَلِيَّة:

وهذا النوع من الحكايات له ميزته الخاصة، التي تميزه عن غيره من الحكايات؛ ذلك أن نص الحكاية فيه ينتهي بمثل أراد الإبداع الشعبي نشره بين الناس، حيث إنها تُقال على ألسنة شخصيات، وفي أحداث قصصية، وأمكنة متعددة، وأزمنة طويلة غير محددة، فتكون طريقة انتشاره أبلغ من نشره منفردًا، وهذا النوع من الحكايات يلعب دورًا مهمًا من خلال ما يحمل من أمثلة شعبية، وما يؤديه من رسالة وعبرة وموعظة.

ومثال هذا من الحكايات المتداولة في منطقة الدراسة وما حولها حكاية: "الرجل العجوز":

يُحكى أن رجلًا عجوزًا فقيرًا جدًا حدث أن رأى تاج الملك عند سقوطه، ورأى التقاط إحدى أبقار الملك للتاج، وبعد أن يئس خدم الملك من العثور عليه قدم إليهم ودلهم على وجوده، فكافأه الملك، ثم فكر بحيلة ليتأكد من قدرته على المعرفة، فأعد وعاء به بصل، وجعل فوقه عسلًا، وأحكم غطاءهن، واستدعى ذلك العجوز، فأجاب بعفوية وقال: شكلها أولها عسل وآخرها بصل، وكان يقصد من ذلك أنه حصل على مكافأة الملك في المرة الأولى، وأنه الآن سيُعاقبه، لكنه كافأه مرة أخرى على جوابه الذي صار مثلًا، ثم حدث أن عصفورًا دخل إلى قصر الملك، وتساءل عن ذلك، فأرسل للرجل يسأله، فلما احتار في أمره قال: لولا جرادة ما ودف العصفور.

(يقصد نفسه ودفع زوجته له للدخول إلى الملك ذلك: أن اسم الرجل عصفور، واسم زوجته جرادة) فاقتنع الملك بكلام الرجل بدخول العصفور لصيد جرادة، وكافأه، وأصبحت كلمته مثلًا، وأخيرًا أشار لزوجته بالخروج من المدينة عند ظهور السبعة النجوم، وصادف خروجهم وجود سبعة سرق من المدينة، فسمعه أحدهم، وهو يتحدث عن السبعة النجوم، فظن الحديث عنه وعن رفقائه، فسلموا أنفسهم في آخر الأمر وأعادوا للناس أشياءهم.

من القصة السابقة نخرج بمثلين: أولهما "شكلها أولها عسل وآخرها بصل" وهذا المثل يُضرب فيما يكون أوله جيدًا وآخره سيئًا.

وثانيهما: "لولا جرادة ما ودف العصفور" وهو مثل يقال فيمن يتسبب في حدوث أمر غير متوقع.

2- الحكاية النُكتية:

وهي حكاية أو أحدوثة قصيرة أو طويلة تحكي نادرة، أو مجموعة من النوادر المسلية والمنسجمة، وتؤدي إلى مواقف فكاهية مرحة، وتستقي مادتها الخام من الواقع الملموس (سعيدي محمد -1998-64)، وهذا النوع من الحكايات يتضمن مضامين اجتماعية، أو سياسية، بطريقة مسلية، وفكاهية، وبطريقة ممتعة، وما يميز هذا النوع من الحكايات أنها أقصر الأنواع من الحكايات، كذلك تمتاز بطابعها الذي يذكر صفات الناس الهزلية.

يشتهر هذا النوع من الحكايات بشكل كبير خاصةً أثناء المسامرات، وأماكن تجمعات النساء والفتيات كذلك عند الجدات؛ حيث يتجمع حولهن الصبيان ليلًا، وأشهرها حكاية الأربع البنات ووالدتهن عندما تقدم رجل لخطبة إحداهن، وجميعهن لديهن صعوبة في النطق.

وشخصيات هذه الحكاية غالبًا ما تتصف بالخداع، والكذب، والحيلة، والمجون، والحماقة، والغباء، وهذه الصفات تُكسب الحكاية طابعًا فُكاهيًا، بحيث يصل المغزى والهدف الاجتماعي والنفسي بطريقة حيوية مرحة، ففي الحكاية السابقة حاولت الأم خداع ذلك الرجل القادم لخطبة إحدى بناتها، وأمرتهن بعدم التكلم أمامه، إلا أن الخداع سرعان ما يكشف أمره حين حدث أمر طارئ، وهو(انقطاع

عِقد إحداهن)؛ فكان سببًا في تكلمهن، حيث لم تتحمل الصغرى ما حدث فقالت: اتّطم، تقصد "اقتطم"، واللفظ يعني "انقطع"، وهو لفظ يعبر عن انقطاع العقد؛ فما كان من الوسطى إلا أن حاولت إيجاد حل لانقطاعه، فلفظت: اعدديه وتقصد (اعقديه)، واللفظ يعني أن تعقد الأطراف التي انقطعت في العقد، فردت الكبرى، وذكرتهن بوصية والدتهن بقولها: ما هي دالت أمي لا نحاتاشي، وتقصد (ما هي قالت أمي لا نحاكاشي)، والعبارة تعني (أما قالت أمي ألّا نتكلم)؟ فكان ذلك سبب تأكد الرجل من الصفة السائدة فيهن، وهي صعوبة النطق وعدم رغبته في الزواج بأي منهن وفراره من ذلك المنزل، فالحكاية تحكي القصة الاجتماعية في قالب فكاهي مضحك، فالنكتة تتقاطع مع نص الحكاية، وتتخلله مندمجة معه، وبهذا يتحول نص الحكاية إلى نكتة مكبرة، وهذا ما يميزها عن النكتة القصيرة.

3- الحكاية الشعرية:

وهذا نوع آخر من أصناف الحكاية الشعبية، تعتمد في طريقة عرضها على الأبيات الشعرية؛ مما يجعلها أسهل في النقل، والحفظ، وهذا النوع من الحكايات أما أن يكون نصه أبياتًا شعرية أو أن تتخلله أبيات شعرية، فهي كما يقول سعيدي محمد: (تمتاز بميزتين اثنتين :إما أن يكون نص الحكاية شعرًا، وإما أن تتخلل النص بعض المقاطع الشعرية تؤدي نفس المعنى لنص الحكاية، وهذا يثري النص ويضفي عليه طابعًا موسيقيًا إيقاعيًا خاصًا)(سعيدي محمد - 1998-66)

وتجد هذا النوع يكثر في الموضوعات التي تحتاج إلى حفظ، كالأحداث الدينية وروايات الغزوات، ويكثر أيضًا في موضوعات الغزل ووصف المحبوب؛ حيث تتسلسل الأحداث شعرًا حتى يسهل حفظها، والمحافظة عليها من النسيان، وكذلك لجذب السامع والتأثير فيه، لكن هذا النوع من الحكاية الشعبية فريد؛ إذ إن راويها الشعبي استطاع أن يجمع فيها بين جمالين جمال الشعر، وجمال النثر اللذين شكلا معاً إبداعًا فريدًا ظل محفورًا في الذاكرة الشعبية؛ لاعتمادها على لغة بسيطة يتداولها الكبار والصغار(برباش مريم - 2011-2012-26).

ومثال هذا في الحكايات الشعبية للمنطقة حكاية رجل مع زوجته، وهي كالآتي:

كان هناك رجل وزوجته يعيشان في منزل صغير في أحد المرتفعات الجبلية، وكان اسم الزوجة "هشالة"، وكان لدى الرجل مزمار وكلبة تدعى غزال، وكان بينه وبين أهل القرية المجاورة ثأر منذ القدم، وذات ليلة طُرق الباب وفتح الرجل الباب واستقبل الضيوف، وقد عرف أنهم أصحاب الثأر وجلسوا وقدم لهم الضيافة، وأخذ يزمر ويغني وزوجته تسمع ما يقول، فبدأ قائلاً:

"يا هشالة يا هشال
إشعلي في الحيد نار
وادعي الكلبة غزال
وأقبلي لي بالرجال
يا عجالش يا عجال".

فهمت الزوجة الغناء، وأشعلت النار، فأتى أهل القرية، ودخلوا المنزل، ورحبوا بالضيوف، ظن أصحاب الثأر بأنهم سوف يذهبون بعد قليل، ولكنهم بين الحين والآخر يأتي المزيد من الرجال حتى مل أصحاب الثأر وظنوا أنهم يذهبون عنده دائمًا فخاب أملهم من قدرتهم على الأخذ بثأرهم وانصرفوا من ذلك المنزل يائسين.

4- حكاية الواقع الاجتماعي (الحكاية الاجتماعية):

(يتخذ هذا النوع من الحكايات مادته الخام من واقع الناس الاجتماعي والنفسي، الذي تربطه البيئة الاجتماعية بأشخاص واقعيين، يكاد يدركهم السامع، وهذا النوع من الحكايات يعالج تحديات اجتماعية، يقع فيها الناس دون اللجوء إلى تدخل عناصر غيبية، فالحدث في أغلب الأحيان يكون حدثًا واقعيًا، إلا أن هناك حكايات لا تخلو من معتقدات خرافية) (سي كبير التجاني - 2014 -132)، وأهم ما يميزها المغزى والحث على التحلي بالصبر والأخلاق الحميدة، فهي تنطوي على ما يمر به المجتمع سواء كانت نهاية تلك الحكاية فرحة أو سيئة(نهاري حنان، الغازي هاجر -2014-2015-16).

وهذا النوع من الحكايات يعد النوع السائد في المنطقة، لكن ما نلاحظه أن حكاية الواقع الاجتماعي غالبًا ما يتداخل معها شيء من الخرافة، وقد تشتمل على مثل، فمثلًا من تداخلها مع الخرافة تكلم بعض الجمادات والحيوانات، أو تحول الإنسان إلى حيوان كتحول الأخت في حكاية السبعة الإخوة إلى بيضة بعد حرقها، كما ناقشت الحكاية الشعبية موضوع الصراعات والنزاعات الطبقية، حيث تقف غالبًا إلى جانب الطبقة الضعيفة، ويشترك في ذلك راويها ومستمعها، فيحزنون مع البطل، ويفرحون لنهايته السعيدة، فقد حاول الإنسان الشعبي أن يحقق أحلامه وطموحه في حكاياته الشعبية.

كما تطرقت أيضًا للخلافات الواقعية بين الأسر، كمشاكل الجوار، والإرث وغيرها، بل ومشاكل الأسرة الواحدة كتعدد الزوجات، وزوجة الأب مع الأبناء، وظلم الأب للزوجة الأولى وزوجات الأخ، وتطرقت لظاهرة لا تزال سائدة ومنتشرة في المجتمع، وهي تفضيل العائلات للذكور على الإناث.

من خلال موضوعات الحكاية الشعبية يتضح لنا رغبة الإنسان الشعبي في تغيير واقعه، وهو ما دفعه إلى استعمال شخصيات خارقة وغريبة وبأسماء غريبة في زمان مجهول، وحاول أن يجري صراعًا بين الخير والشر، والحق والباطل، ومعالجة موضوعات اجتماعية عن طريق هذه الشخصيات بغية الاستفادة منها في الواقع.

ومن الحكايات الاجتماعية في المنطقة كيد زوجات الإخوة، تذكر الحكاية وجود سبعة إخوة لهم أخت واحدة، وكانوا يحبونها حبًا أثار غيرة زوجاتهم جميعًا، أدت تلك الغيرة بأن فكرن بمكيدة أودت بتلك الأخت، حيث أجمع الإخوة على أن يحرقوها حية؛ ليتخلصوا منها، فألقوها في النار، لكنها تحولت إلى بيضة، وجدتها امرأة عجوز أثناء عودتها لمنزلها، كانت تلك الفتاة تخرج أثناء خروج العجوز، فتقوم بجميع أعمال المنزل، وتعود لتلك البيضة، واستمرت على هذا الحال، وبقيت تلك العجوز في غرابة حتى قررت في أحد الأيام أن تتظاهر بالخروج، لكنها لم تخرج، وبقيت تراقب ما الذي يحدث في المنزل عند غيابها، فرأت خروج تلك الفتاة الجميلة من البيضة فسألتها: (أمن الإنس أم من الجن؟)، أجابت تلك الفتاة إنها من الإنس، وحكت قصتها، فرحت تلك العجوز بها، وعاشت معها في سعادة حتى رآها ذات يوم السلطان، وقرر الزواج بها، وفي ليلة زفافها كانت النوافذ والأبواب تصدر أصواتًا غريبة، وتقول: ما بين الإخوان زواج ما بين تاجه وتاج.

تعجب السلطان من ذلك وسألها فأخبرته بقصتها، وعلم جميع الإخوة أنها أختهم، وعاقبوا زوجاتهم أشد عقاب، وعاش الإخوة في سعادة وهناء.

ويحكى أيضًا أن لصاً دخل بيتًا؛ ليسرقه، واختبأ لحين نوم أهل البيت، فأحس صاحب المنزل باللص، وكان جبانًا غير أنه في غاية الذكاء، فقال لأولاده الصغار بصوت مرتفع: كنت يا أولادي في بداية حياتي سارقًا، فكنت أدخل إلى البيوت، فإذا سمعني أهل البيت أصعد إلى السطح، وأتسلق التجواب (بناء حول سطح المنزل)، ثم أضع أقدامي على (الميزاب) وأختبئ هناك، فإذا صعد أهل الدار إلى السطح لا يجدونني ويظنون أنني هربت، فإذا عادوا إلى الفراش وناموا أعود إلى السطح وأنزل، فأسرق ما أجده وأخرج سالمًا، وكان اللص يسمع كلام صاحب البيت، ولما أكمل الرجل كلامه قام، وفتح باب الغرفة فهرب اللص إلى السطح، وأراد أن يختبئ فوق الميزاب، لكنه ما أن وضع قدمه على الميزاب حتى هوى به الميزاب إلى الشارع، وعندها أطل عليه صاحب الدار قال له: كُسر أو شُصر يا لص، ويقصد (هل كسرت عظامك أم حدث لها ما هو دون الكسور) قال اللص: بل كُسر يا من غشيتني بكلامك يا غشاش.

ويحكى أن هناك فتاة جميلة جدًا تدعى وريقة الحناء تعيش مع والديها، وكانت لهما جارة تريد الزواج من والد الفتاة، فحاولت أن تتودد للفتاة حتى أقنعتها بقتل والدتها، وبعد أن فعلت ما طلبته منها، طلبت الفتاة من والدها الزواج بتلك المرأة، فتزوجها الأب غير أنها لم تعاملها بتلك المعاملة التي كانت تصورها لها في الماضي خاصة بعد أن أنجبت طفلة، سميت شرخف، ولما كبرت تلك الطفلة ساءت معاملة الخالة للفتاة، حتى إنها كانت تبقى دون أكل كادت أن تموت جوعًا، فكانت تذهب لقبر والدتها وتبكي، حتى حن قلب والدتها عليها، فدلتها إلى هز قرن البقرة كلما أحست بالجوع، وستعطيها ما تحتاجه، لكن تلك الخالة سرعان ما عرفت بالأمر، فذبحت تلك البقرة، وهكذا فعلت مع النخلة عندما لجأت إليها الفتاة، كما أخبرتها بذلك والدتها، فخرجت تلك الفتاة تمشي وأثناء طريقها وجدت عجوزًا جائعة، ولم يكن لدى وريقة الحناء سوى قطعة خبز، لكنها أعطتها لتلك العجوز؛ فدلتها على بئر ستجدها في طريقها، وأشارت عليها بأن تدخل فيها، وحذرتها من بئر أخرى ستناديها أن تدخل فيها فهي خطيرة، سمعت وريقة كلام العجوز ودخلت تلك البئر فخرجت منها وهي ترتدي الحرير والذهب، تبعتها أختها التي كانت تراقبها في كل مكان، وأخبرتها العجوز ما أخبرت به وريقة، إلا أنها لم تسمع كلامها، ودخلت البئر التي نادتها أن تدخل فيها، فكسرت ساقيها، وأصيبت بجروح عميقة، علمت الخالة بما حدث لوريقة، وكيف أنها أصبحت غنية فطلبت منها السماح.

كما يتداول الناس في المجتمع قصة ثلاثة أولاد وما ورثوه عن أبيهم؛ حيث حصل الأول على آلة عزف كانت سببًا في حصوله على كثير من الأموال؛ حيث رأى شجرة في طريقه، فصعد إلى أعلاها ليرتاح قليلًا، وفي تلك الأثناء مّرت جماعة، وتوقفوا قليلًا عند تلك الشجرة، وكانوا حاملين معهم عروسًا فتمنوا وجود طبل (آلة تشبه الدف) ليستمتعوا به وقت انتظارهم، فاستخدم آلته، فهربوا جميعًا، وأخذ كل ما تركوه من أموال وغيرها.

أما الآخر فقد ورث قطة، فاحتال بها على الناس، وباعها بأغلى الأثمان؛ حيث ادعى أنها محيية النفوس، ولكي يصدقوا ادعائه جعل في عنق زوجته أنبوبة دم، وقام بذبحها فدعا تلك القطة فامتصت ذلك الدم وعادت زوجته للحياة!

أما ثالثهم فكان نصيبه سلمًا استخدمه في خداع زوجة الحاكم، حتى أخذ فرس الحاكم وماله ومال زوجته، وهكذا حصلوا على ثروات طائلة بأشياء بسيطة جدًا تركها لهم والدهم.

* وتجري على الألسن أيضًا حكاية "جليد الحمار"، وهي قصة تحكي أن رجلًا كبيرًا في السن لم يُرزق بأولاد، فشكى همه لرجلٍ عجوز؛ فأعطاه سبع حبات يتناولهن مع زوجته، بشرط أن يكون أول ولد يُرزق به من نصيبه، وافقه الرجل ومرت السنوات، كان الرجل قد رُزق خلال هذه المدة سبعة أولاد، عاد الرجل العجوز على موعده، وبعد أخذ الولد الأكبر غصبًا عنه من أبويه، حيث أرسل العجوز إبل فوقف أمام منزل ذلك الأب، فكان الأب يحاول خداعه ويعطيه الابن الأصغر، فلم يتحرك ذلك الإبل، ثم الأكبر منه قليلًا فلا يزال واقفًا حتى أتوا بالأكبر، فتحرك الإبل، ولما أوصله إلى العجوز كان يعتني به ليمتلئ فيكون وجبة دسمة (كما يفعل في كل مرة)، وذات مرة اكتشف الشاب أماكن مغلقة تحتوي على كنوز الذهب يمتلكها ذلك العجوز، ويوجد في إحدى الخزائن سبع نساء البعض منهن من الجن والبعض الآخر من الإنس، حصل الرجل على ثلاث شعرات من النساء الجنيات، بعد أن ساعدهن وخلصهن من أسر العجوز لهن.

رأت إحدى الجنيات أن يخفي ذلك الشاب شكله حيث كان جميلًا جدًا فقمن بسلخ جلد حمار وألبسنه، وخرج به متخفيًا، وعندما خلع ذلك الزي يومًا أثناء استراحته رأته أخت السلطان، فأُعجبت به، فتقدم لخطبتها، وتم الزواج بعد رفض السلطان له عدة مرات لفقره! وعاش معها في إسطبل، وكان يخرج شعرة ويحرقها؛ فتأتي الجنيات ويساعدنه؛ فتحول ذلك الإسطبل إلى قصر جميل، و أصبح الحاكم لتلك المدينة بمساعدتهن، وعاش مع زوجته عيشة سعيدة...تندرج هذه الأنواع من الحكايات تحت حكايات الواقع الاجتماعي، إلا أنها لا تخلو من إضافات أسطورية، حيث نجد عنصر الخيال والبعد عن الحقيقة في كثير من أحداثها كقتل الفتاة والدتها في حكاية وريقة الحناء، ورفض الإبل لجميع الأبناء حتى أخذ الولد الأكبر ومساعدة الجنيات له، وكذلك أكل ذلك العجوز لكل من يحصل عليهم من الصبيان وتحول الإسطبل إلى قصر وغيرها ... وقد لاحظت الباحثة أن أغلب ما تم جمعه من النماذج الحكائية للمنطقة كان من حكاية الواقع الاجتماعي للإنسان الشعبي كونها الأكثر تداولًا في الأوساط أما بقية الأنواع فلم تذكر سوى القليل منها وذلك لشحة تواجدها والوقت المحدد لجمعها.

5- حكاية الواقع السياسي:

هي حكايات مواضيعها من العلاقات القائمة بين الحاكم والمحكوم والقوانين التي تجري في الدولة، أو المنطقة ونظام الدولة وتعكس صورة العلاقة التي تكون بين السلطان والرعية وقد تكون هذه العلاقة في شكلها العادل، أو غيره وما يستخدم من وسائل لتسيير شؤون البلاد.

وهذا النوع من الحكاية لا يختلف عن الحكاية الاجتماعية؛ فكلا النوعين يناقش أحداثًا ومواقفًا من الواقع الإنساني المعاش، غير أنا أفردناه عن النمط السابق كون الصراع أو الأحداث تكون بين الفئة الحاكمة والمحكومين من العامة.

ومن الحكايات التي تندرج تحت هذا النوع في المنطقة حكاية الأذان

يحكى أن رجلًا كان له مبلغ من المال، وكان قد قصد الحج، فوضعه عند أحد التجار، فلما رجع لاستعادة المال أنكر التاجر وجود المال لديه، فرجع صاحب المال واشتكى الأمر للقاضي، فلم ينصفه، فاستعان بالمؤذن بعد نصيحة من أحد رفقائه، فاحتال له بأن أذن في غير وقت الأذان، فعجب الوالي من الأذان، فأرسل في طلب المؤذن، فأخبره بخبر صاحب الدين، فحل الأمر عندئذ وأعيد المال إلى صاحبه، وبقي الأذان وسيلة لإشعار الحاكم أو الوالي بأن شيئًا يستدعي تواجد جيوشه للتدخل في حله، وقد استعمل الأذان في بعض العصور في التاريخ العربي أداة لتنبيه الحاكم بوجود ما يستدعي الانتباه والالتفات.

أما الحكاية الخرافية فقد اختلف في تصنيفها فمن الدارسين من جعلها نمطًا من أنماط الحكاية الشعبية ومنهم من عدها شكلًا مستقلاً عن الحكاية الشعبية.

ومن خلال اطلاع الباحثة على مجموعة من الحكايات الشعبية في المنطقة وجدت أن الأسطورة قد وضعت لمساتها السحرية، حيث وجدت العديد من الحكايات التي تدخل معها كثير من العناصر الخرافية، كالسحر، والتحول أو تكلم الحيوانات، وهي في مجملها حكايات اجتماعية أو مثلية أو غير ذلك، ومن ذلك حكاية الفتاة التي واجهت في طريقها ثعبانين يتصارعان، فطلب منها أحدهما المساعدة ودار بينه وبينها حوار، وتحولها أيضًا إلى طائر بفعل السحر.

ومن أمثلة ذلك ما يتداوله الناس من أن رجلًا قرر أن يبيع الحطب؛ لمساعدة أسرته الفقيرة، وعندما أراد قطع إحدى الأشجار، طلبت منه أن لا يقطعها في مقابل أن تعطيه ما يكفيه من مال وطعام، وافق الرجل على ذلك؛ فأعطته وعاءً كان يخبره بما يريد فيوفره له في الحال، فيأكل هو وابنه الوحيد، لكن هناك عجوزًا علمت بذلك واستغلت غياب الأب، وأعطت الابن وعاءً بدلًا من ذلك الوعاء فعاد الأب إلى تلك الشجرة، وحكى لها ما حدث، فأعطته بعيرًا كان يحصل منه على المال، إلا أن العجوز علمت بذلك، فاحتالت على ذلك الولد، وحصلت على ذلك البعير، فذهب الرجل لتلك الشجرة، ولكنها في هذه المرة أعطته خيزرانة كانت سببًا لاستعادة كلما أخذت تلك العجوز، حيث إنها استطاعت الحصول

عليها كعادتها، وعندما أمرتها أن تدور دارت، وضربتها ضربًا مبرحًا لقيت به جزاءها حتى أعادت لذلك الرجل ما أخذت منه.

والتفصيل السابق لم يكن سوى بعض من نمط واحد في التصنيف، والذي تتداخل فيه الحكاية مع أشكال التعبير الأخرى من نكتة، ومثل، وشعر، كما حاولت الباحثة الوقوف بلمحة سريعة عند حكاية الواقع الاجتماعي والسياسي؛ لكون أغلب ما تم جمعه في المنطقة يندرج تحت هذين النوعين.

وبعد تفصيل أنواع الحكاية الشعبية في المناطق، تتطرق الباحثة إلى أهم الموضوعات التي تناولتها الحكاية الشعبية، وطرق تداولها:

تعتمد الحكاية الشعبية في المنطقة ونواحيها على نمط معين من الأقوال، فالبداية فيها كانت عن طريق قولهم (كان به واحد) ومعنى هذه العبارة: (كان هناك رجل.)أو (كان به أسرة)، وتعني (كان هناك أسرة).

ثم تسترسل الحكاية بإضافات وصفية، ابتداء من قائل الحكاية وصولًا إلى نهاية الحكاية، والنهاية غالبًا ما تختم بعبارة (إن صدقنا فالصادق الله، وإن كذبنا أستغفر الله)، وهناك بعض الحكايات المتداولة في المجتمع تبدأ بالبداية الثانية (كان ياما كان في قديم الزمان) يقول باصديق: (وحيث إن الحكاية الشعبية لا زمن لها ولا مكان، فتبدأ عندنا بعبارة (كان ياما كان في قديم الزمان) وهي دلالة لزمان ومكان مجهولين للحكاية، أما نهايتها فتكون بعبارة (كنا معهم، الله لا ردهم) وكنا معهم هذه تعني أثناء رواية الحكاية ليس إلا. أما عبارة (لا ردهم) فلا هنا نافية بمعنى (ما) أي الله ما ردهم أي ما رجعوا منذ ذلك الوقت وهي دلالة على انتهائهم في الماضي المجهول زمانه ومكانه) (حسين باصديق- 1993- 335)

وعبارة (الله لا ردهم) هي عبارة قد تفيد الدعاء عليهم، بأن الله لا يرجعهم إلينا، والمقصود الدعاء عليهم بالهلاك.

إلا أن هذه البداية وتلك النهاية ليستا السائدتين في المنطقة؛ إذ تغلب على حكاياتنا البداية السابقة والتي غالبًا ما تبدأ ببطل الحكاية المجهول.

الموضوعات - :

إن موضوعات الحكاية الشعبية في مديرية العرش وما حولها من المناطق كثيرة ومتنوعة؛ وذلك راجع لتنوع أحداثها المستوحاة من الواقع المعاش تارة، والواقع الممزوج بالخيال تارة أخرى، فمحتوى الحكايات هذه يعتبر إجابات لأسئلة كثيرة شغلت بال الأنسان اليمني في ذلك الوقت؛ فلجأ إلى الحكايات لتصوير ما عاشه من تجارب، وما مر به من خبرات، وقد تمثل ذلك في الموضوعات التالية:-

1- الظلم الواقع على الأفراد، وكيفية رفعه.

ونجد هذا في وجود شخصيات تمثل هذا الظلم، ومن هذه الشخصيات:

أ- زوجة الأب:-

وتمثل هذه الشخصية قوى الشر في الحكاية؛ حيث نجدها تستخدم أبشع أنواع التعذيب في حكاية (وريقة الحناء)، إذ يصل بها الأمر إلى أن تجر وريقة الحناء في بادئ الأمر لقتل أمها، ثم تبدأ بتعذيبها وتجويعها، وإزالة كل ما من شأنه أن يسعدها أو يعينها، وهي شخصية متطورة متغيرة ليست ثابتة؛ فتظهر في أول الأمر مراوغة متخفية، حتى تكسب حب الفتاة وطبيعتها، ثم تنكشف عداوتها بعد أن حققت ما أرادت، وهذا ما لاحظناه أيضًا في موقف الخالة مع بنات زوجها السبع، وكيف استخدمت كل الأساليب، حتى جعلت الأب يحاول التخلص منهن ووضعهن في مكان بعيد في الجبال. لكن هذه الشخصية تنتهي في أغلب الحكايات بالندم وطلب العفو أو الموت.

ب- زوجات الإخوة:-

ويتمثل ذلك الظلم في حكاية الأخت الوحيدة وإخوانها السبعة، حيث وصل الأمر بزوجات إخوتها إلى أن يكنّ سبب إحراقها، غير أنهن يحاولن بعد اكتشاف إخوانها الحقيقة أن يظهرن تحسرهن، وندمهن على ما فات إلا أن ذلك لم يجدِ نفعًا.

ج- بُعد الولاة والحكام عن الرعية:-

وهذا ما نستخلصه من حكاية الحاج والتاجر؛ فقد كان أذان المؤذن في غير وقت الصلاة سببًا في إعادة المال لصاحبه، حيث أرسل الملك جيوشه في طلب المؤذن؛ ليعلم سبب الفوضى والأذان في ذلك الوقت، ويُعد ذلك تصويرًا لواقع الإنسان الشعبي في تلك الفترة.

والملاحظ أن الظلم الواقع في الحكاية الشعبية للمظلومين يكون بطرق متعددة يغلب فيها الخيال والأسطورة، في أغلب الحكايات، فقتل الفتاة لوالدتها وكذلك تخلي الأب عن بناته بتحريض الخالة فيه شيء من الخيال والخرافة، كما أن إحراق الأخت من قبل إخوتها السبعة بتحريض زوجاتهم واتهامهن لها بما يطعن فيها يمثل أعلى درجات الشر والعدوانية.

وتعلل الباحثة هذا الأمر بأن الحكاية الشعبية كانت المتنفس الأوسع لمظلومية الإنسان الشعبي، فالوضع السياسي لا يسمح له بالتعبير كما يشاء، ويمنعه أيضًا الوضع الاجتماعي والعادات والتقاليد السائدة.

2- الذكاء والدهاء والحيلة.

ويتمثل ذلك في وجود شخصيات كشخصية العجوز في أغلب الحكايات الشعبية في المنطقة؛ فنراها في حكاية الشجرة العجيبة تحاول خداع الصبي، فتأخذ كل ما كان يحصل عليه الأب من تلك الشجرة ابتداءً بالوعاء وحتى الخيزرانة.

وفي الحكاية المشهورة "غذاء صويلح" التي مثلت شخصية العجوز أبهى صور الاحتيال والمكر، حيث أشعلت النار لتجلب إليها كل من يمر على الطريق، فقد استطاعت أن تخدع الست الأخوات واحدة تلو الأخرى.

كما أن الذكاء كان من أهم الصفات التي يمتاز بها بطل الحكاية فذكاء الأخت الصغرى في الحكاية السابقة "غذاء صويلح" جعلها تنقذ أخواتها الأكبر منها، بل وبه تخلصت من تلك العجوز الماكرة.

كما نجد الخداع في حكاية الإخوة وما ورثوه عن أبيهم، فبعد أن حصل أحدهم على أموال كثيرة بتلك الآلة حاولوا الخداع والحيلة، فأولهم أدعى بأن تلك القطة تحيي النفوس بعد موتها، فباعها بأغلى الأثمان، والآخر قام بخداع زوجة الملك بأن لدى ذلك السلم القدرة على إزالة اللوذات (وتعني العيوب).

3- الفقر والحالة المتردية التي عاشها المجتمع:

لقد كانت الحكايات تعكس الواقع وتصور حالات الفقر والجوع، التي كانت سائدة في المجتمع، ومن ذلك حكاية الأسرة الفقيرة التي لجأ صاحبها لقطع الأشجار وبيعها؛ ليوفر لأسرته قوت يومهم، كما تصور ذلك حكاية السبع البنات؛ إذ كان تناول وجبة الغذاء هو سبب قدرة العجوز على خداعهن، والقبض عليهن، وشخصية وريقة الحناء فقد كان الجوع أول صورة من صور العذاب الذي كانت تعيشه هذه الفتاة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شيء متعارف عليه لدى الإنسان الشعبي، كما يتجلى وضع المجتمع في تطرق الحكاية لموضوع "السرق"، وهي دلالة على الحالة الصعبة التي يعيشها المجتمع في ذلك الوقت، وقد ذكر ذلك في حكاية تاج الملك؛ حيث إن الحكاية ذكرت وجود سرقة في المدينة، وكيف تم الإمساك بمن قام بتلك السرقة.

ويُعد الفقر من المشاكل الاجتماعية الأكثر شيوعًا في المنطقة في ذلك الحين، حيث كان أبرز ظاهرة عانى منها الإنسان الشعبي، وحاول بذل كل ما بوسعه لتحسين وضعه المعيشي، ولكنه لم يستطع فاتجه إلى عالم آخر، هو عالم الحكاية الشعبية فعبر عن كل ما يرغب فيه ورسم منزله الذي يحلم به، من خلال وجود وسائل كالجن وغيرها تحقق له ما تمناه، فتحول المكان العادي إلى قصر، وصوَّر أكله لكل ما يتمناه.

نتوصل من خلال هذه الأصناف التي جمعت من الحكايات الشعبية في المنطقة أن هذه الحكايات حتى وإن قسمت إلى أنواع، تبقى متداخله فيما بينها، فقد تجد في حكاية الواقع السياسي جانبًا اجتماعيًا، والحكاية المثلية في مجملها ذات طابع اجتماعي، وحكاية الواقع الاجتماعي، لا تخلو من جانب التسلية والمرح وجميعها وظفت لمعالجة واقع الإنسان الشعبي بمختلف تجلياته.

وحكايات المنطقة تلعب دورًا فعالًا في الجانب النقدي، فتظهر عيوب المجتمع وآفاته الاجتماعية كالغدر، والخداع، والحيلة، وتحاول معالجتها بشتى الطرق، حيث تظهر في نفس النص القيم الأخلاقية الإيجابية.

وقد وجدت الباحثة أن هناك تشابهًا كبيرًا بين موضوعات القصص الشعبية في المنطقة، وقصص الأدب العالمي، ولعل هذا من التسريبات التي وصلت مبكرة إلى أدبنا الشعبي عن طريق الهجرات وتداخل الأدب.

الخاتمة:

نصل إلى نهاية هذا البحث عن الحكاية الشعبية في مديرية العرش، والذي حاولت الباحثة فيه إعطاء صورة مثلت جانبًا من تراث شعبي ضخم يعكس عادات وتقاليد المنطقة وأهلها، بل يعكس هويتهم.

والذي توصلت الباحثة فيه إلى النتائج التالية:-

1- تلعب الحكاية دورًا هامًا في ترسيخ القيم الأخلاقية وحفظها؛ ولذا تُعد من أهم العناصر في التراث الشعبي اليمني.

2- عملت الحكاية الشعبية على حفظ العادات والتقاليد المتأصلة في المنطقة بفعل تناقلها من جيل إلى جيل مشافهة.

3- أكد البحث صعوبة تحديد نشأة الحكاية الشعبية، فهي عريقة جدًا لما تحمله من مواد مبثوثة في ثناياها تعود إلى أزمنة غابرة.

4- صنف الباحثون الحكايات إلى عدة تصانيف، حسب نوعها، أو حجمها، أو موضوعها.

5- أبطال الحكايات الشعبية في المنطقة شخصيات واقعية في الغالب؛ فالبطل إما فتاة جميلة، أو رجل عجوز، أو شاب فقير.

6- تنتهي جميع الحكايات الشعبية في المنطقة بنهاية سعيدة بانتصار المظلوم، وعودة الحقوق لأهلها.

7- تعالج الحكايات الشعبية في المنطقة كثيرًا من القضايا الاجتماعية؛ حيث إن موضوعاتها مستوحاة من الواقع المعاش للإنسان الشعبي.

ـــ المراجع ـــ

الكتب: -

1- ابن منظور، محمد بن مكرم، 1995م. لسان العرب. ط3. بيروت .دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي.

2- أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، باب الحاء والكاف وما يماثلها، تحقيق عبدالسلام هارون، المجلد الثاني، دار الجيل، بيروت.
3- الجوهري، إسماعيل بن حماد، 1990، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، المجلد السادس، بيروت، دار العلم لملايين.
4- حسين سالم باصديق 1414هـ-1993م. في التراث الشعبي اليمني. ط، مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء.
5_د.حسين نصار1400ه_1980م.الشعر الشعبي العربي.ط2,منتدى سور الأزبكية, منشورات اقرأ, بيروت _لبنان
6_عبدالحميد يونس,1982,معجم الفلكور مع سرد إنجليزي_عربي ,القاهرة
7- د. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، القاهرة، دار النهضة مصر.
8- سعيدي محمد. 1998، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر

المجلات والإحالات

1- بن يوسف رانيا حنان،1437- 01438/ 2016- 2017، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث. العدد 6. ص .182.
2- النبلاوي، عايدة فؤاد، 2014- 2015. الحكاية الشعبية العمانية ودلالتها الاجتماعية والثقافية - دراسة إنثروبولوجية. ص349. جامعة السلطان قابوس. د. ط
3- أمنية حلفاوي، سعاد شلالي. 2016 . 2017م. مرفلوجية الحكاية الشعبية في منطقة سور الغزلان. ص21. د. ط
4- بويش منصور 2015م. السرد الشعبي في التراث العربي التشكل والأنواع مجلة حوليات التراث. عدد26. ص16
5- برباش مريم. 2011-2012م. الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة دراسة ميدانية. ص14.
6- نهاري حنان الغازي هاجر، 2014-2015م، ترجمة الحكاية الشعبية من الموروث الجزائري، ص9.
7- سي كبير أحمد التجاني، 2014، الحكاية الشعبية في منطقة ورقلة، مجلة أثر العدد 19. ص129.